Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٥)

وتبقى فى البديع المعنوى فنون، يمكن أن تدرج ـ على الأقل بعضها ـ فى إطار بعض العلاقات الدلالية السابقة، لكنى أوثر تجميع بعض هذه الفنون معاً، فى إطار علاقة دلالية انسب لها، او أكثر تعبيراً عن خاصية اساسية فيها. ففنون: تشابه الأطراف، والتفويف، والتسهيم، أوثر تجميعا فى إطار علاقة، يمكن تسميتها (التناسب). وهى علاقة تعنى: **التناسب بين معانى جمل، لا مفردات. ووجوه التناسب اكثر من أن تحصى.**

وتتجلى هذه العلاقة فى أحد فروع (مراعاة النظير) وهو (تشابه الأطراف) يقول القزوينى: «ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف، وهو: أن يختم الكلام بما يناسب اوله فى المعنى، كقوله تعالى: (لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ، وهو اللّطيفُ الخبيرُ)*[1] فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً، فإن من يدرك شيئاً يكون به خبيراً»[٧٣] ومثل هذا التشابه تناوله ابن أبى الإصبع فى إطار (**باب المناسبة**): **المناسبة بين المعانى**، وبتحديد م اكثر حين تكون «بين الجمل المركبة ومعانيها»[٧٤]

وهذه المناسبة قد تكون ظاهرة كما فى الآية السابقة، وقد تخفى وبدرجات متفاوتة فى الخفاء؛ ومن ثم تحتاج إلى تأمل وتدبر، «ومثل ذلك قوله عز وجل: (قل أرأيتم إنْ جَعَلَ اللّهُ عليكُم اللّيلَ سَرْمَدا إلى يوم القيامةِ، مَن إلهٌ غيرُ اللّهِ يأتيكم بضياءٍ أفلا تسمعون)*[2] لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة، وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة، صار الليل كأنه (سرمداً)، بهذا التقدير، وظرف الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه الصبر، لاسيما وقد أضاف الإتيان بالضياء، الذى تنفذ فيه الأبصار إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار النهار كأنه معدوم، إذ نسب وجوده إلى غير موجد، والليل كأنه لا موجود سواه، إذ جعل كونه سرمدا، منسوباً إليه سبحانه، فاقتضت البلاغة أن يقول: «أفلا تسمعون»؛ لمناسبة مابين السماع والظرف الليلى، الذى يصلح للإسماع، ولا يصلح للإبصار. ولذلك قال فى الآية التى تليها: (قل أرايتم إن جعل اللّهُ عليكم النهارَ سَرْمَدًا إلى يوم القيامة، مَنْ إلهٌ غيرُ اللّهِ يأتيكم بليل تسكُنون فيه، أفلا تُبْصرون)*[3] لانه لما أضاف جعل النهار سرمدا إليه، وصار النهار كأنه سرمد، وهو ظرف مضئ تنور فيه الأبصار، وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة؛ فصار الليل كأنه معدوم؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد، والنهار كأنه لاموجود سواه؛ إذ جعل وجوده سرمدا